

بحار الأنوار

[332] واحدة وصورة واحدة، فمنهم من جعل تلك الصورة أمرا متوسطا بين صورها، ومنهم من جعلها صورة أخرى من النوعيات، واحتج على فساد هذا المذهب بوجه تركناها. وذهب أنكسا غورس وأصحابه إلى الخلط والكمون والبروز، وأنكروا التغيير في الكيفية والصورة، وزعموا أن الأركان الأربعة لا يوجد شيء منها صرفا، بل هي تختلط من تلك الطبائع النوعية كاللحم والعظم والعصب والتمر والعسل والعنب وغير ذلك، وإنما سمي بالغالب الظاهر منها، ويعرض لها عند ملاقة الغير أن يبرز منها ما كان كامنا فيها فيغلب ويظهر للحس بعد ما كان مغلوبا غائبا عنه، لا على أنه حدث بل على أنه برز، ويكمن فيها ما كان بارزا فيصير مغلوبا وغائبا بعدما كان غالبا وظاهرا. وبإزائهم قوم زعموا أن الظاهر ليس على سبيل البروز؛ بل على سبيل النفوذ من غيره فيه، كالماء مثلا فإنه إنما يتسخن بنفوذ أجزاء نارية فيه من النار والمجاورة له وهذان القولان سخيفان، والمشهور عندهم أن العناصر تفعل بعضها في بعض، فيستحيل في كیفيتها وتحصل للجميع كیفية متوسطة متشابهة هي المزاج، فتستعد بذلك لافضة صورة مناسبة لها من المبدأ. ثم المشهور بينهم أن النار التي تسطع عند ملاقة الحجر والحديد أو عند احتكاك الخشبتين الرطبتين أو اليابستين إنما هي بانقلاب الهواء الذي بينهما نارا بسبب حرارة حدث فيه من الاصطكاك والاحتكاك، لا بأن يخرج من الحجر أو الحديد أو الشجر نار، وظواهر الآيات والاختبار المتقدمة لا ينافي ذلك. وأما قوله عليه السلام في حديث هشام " إن النار في الأجسام كأمنة " فالمراد بها إما النار التي تركيب الجسم منها ومن سائر العناصر أو المعنى أن ما هو سبب لحدوث النار حاصل في الأجسام وإن انطقت النيران المتولدة منها وانقلبت هواء، والاول أظهر. والحاصل أن قياسك الروح على نار الفتيلة وغيرها حيث لم يمكن إعادتها إلى الأجسام قياس مع الفارق، فإن الروح إما جسم أو جوهر مجرد ثابت محفوظ يمكن إعادته، والنار الذي (1) ذكرت انقلبت هواء وذهبت، فعلى تقدير استحالة _____ (1) التي (ط).